مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٣)

الشبهات المثارة حول مفهوم الجهاد
عرض ودراسة ونقض

إعداد

د / محمد حامد محمد سعيد

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

جامعة الإنسانية - بولاية قدح - ماليزيا

السنة ٢٦ العدد (١٠٥) ابريل ٢٠١٦م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشبهات المثارة حول مفهوم الجهاد عرض ودراسة ونقض

د/محمد حامد محمد سعيد
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين - جامعة الإنسانية - بولاية قدح - ماليزيا

{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}

"سورة النمل الآية رقم : ١٩"

إهداء

••••

۞ إلى من اصطفاه الله رسولًا خاتمًا، وإمامًا ومعلمًا، سيدنا محمد-ﷺ-.

۞ إلى روح أبى وأمي، أسأل الله تعالي أن يكونا في الدرجة العالية، كما أسأله تعالى لهما الغفران، ولروحهما الجنان، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتهما.

۞ إلي روح زوجتي الغالية الكريمة، والتي يعلم الله تعالى كم تركت في نفسي أثرًا سلبيًا بعد فراقها، ولكن لا نقول إلا ما يُرضى ربنا عز وجل إنا لله وإنا إليه راجعون، وجعل الله تعالى ثواب هذا العمل في ميزان حسناتها، ورزقني الصبر على فراقها، اللهم آمين يا رب العالمين.

۞ إلي أولادي حامد وفاطمة وأحمد بارك الله -ﷻ- لي فيهم جميعاً، وجعلهم سنداً لي علي الخير دائماً، ورزقني وإياهم العلم النافع.

۞ إلى مشايخي وأساتذتي، وكل من له فضل عليّ، أو مد لي يد العون.

۞ إلى إخوتي الأشقاء الأستاذ الدكتور/أحمد حامد محمد سعيد أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بطنطا، والدكتور/مجدى حامد محمد سعيد مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالزقازيق، والشيخ/محمود حامد محمد سعيد الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف بارك الله لي فيهم جميعاً، وجعلهم ذخراً للإسلام والمسلمين.

۞ إلى جميع طلاب العلم ومريدي المعرفة .

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذه الورقات سائلاً الله -ﷻ- أن يجعله في ميزان حسناتي، وأن ينفع به قارئه وكاتبه، وأن يثيبني عليه في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

اللهم آمين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا يا رب العالمين.

أما بعد ،،،،،،

فإن موضوع الجهاد في الإسلام من الموضوعات الشائكة في واقعنا المعاصر، والتي أثير حولها الكثير والكثير من الشبهات في القنوات الفضائية المرئية كانت أم المسموعة التي يتشدق بها القائلون بحتمية الجهاد في زماننا هذا، ولكن للأسف الشديد أغلب هذه الشبهات ممن لا يدينون بالإسلام، أو من المسلمين الذين لم يثمر الإسلام في قلوبهم؛ لأن الإيمان حينما يثمر في القلب فإن الفهم الصحيح السليم هو ما يعقبه، وهذا ما يُفهم من قوله تعالى: "فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ" الأنبياء٧، فأهل الذكر هم أدرى الناس بمفهوم الآية والحديث، وما ورد من شبهات حول باب الجهاد في الإسلام إنما هو نتيجة الفهم السقيم الضعيف للآيات والأحاديث الواردة في شأن الجهاد، سواء أكان هذا الفهم السقيم من بعض المسلمين أنفسهم، أم ممن لا يدينون بدين الإسلام أصلًا.

فمن هذا المنطلق شرعت -بتوفيق من الله تعالى وإعانته- في كتابة بعض الورقات والتي حملت عنوانًا باسم (**الشبهات المثارة حول مفهوم الجهاد عرض ودراسة ونقض**) لعلها تكون فاتحة خير على أبناء المسلمين وغير المسلمين في فهمهم لحقيقة الجهاد وما يُثار حوله من شبهات وأقاويل لا تنتمي لصحيح الدين بصلة لا من قريب أو بعيد.

هذا وقد استقرت خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة.

أما المقدمة: فذكرت فيها: أهداف البحث، وإشكاليته، وخطته، ومنهجي فيه.

أولاً: أهداف البحث: أردت الكتابة في هذا البحث لعدة أهداف، منها ما يلي:

أولا: دراسة بعض الشبهات المثارة حول مفهوم الجهاد الإسلامي من وجهة نظر أعداء الإسلام، وتفنيدها، ونقضها نقضًا علميًا بعيدًا عن التعصب والهوى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيًا: حاجة الأمة الإسلامية في الواقع المعاصر لمثل هذه الدراسة؛ للاستفادة منها في الحياة العملية والعلمية، والتي تدل على أن الإسلام بعيد كل البُعد عن العنف والتطرف، وسلب الأموال وأخذها بدون وجه حق من أصحابها، وأن ما يحدث من بعض المنتسبين إليه إنما هي حالات نادرة قليلة، لا يصح أن يصدر عنها حكم عام يعم الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

ثالثًا: إظهار أن الإسلام بصفة عامة - والالتزام به بصفة خاصة - له دور أساسي وثابت في بناء أجيال من أبناء الأمة الإسلامية بعيدة عن العنف والتطرف.

رابعًا: رد الافتراءات والشبهات الموجهة ضد الإسلام وأتباعه بأنه دين يدعو إلى العنف والإرهاب بصفة عامة، والتطرف والتكفير بصفة خاصة.

لهذه الأهداف وغيرها قمت بإعداد هذا البحث سائلاً الله -ﷻ- الإخلاص والقبول، وأن يرزقني التوفيق والسداد.

ثانيًا: إشكالية البحث: تتمثل إشكالية البحث في:

أولًا: غياب بعض المفاهيم الإسلامية عن أذهان بعض المسلمين، ومنها:مفهوم الجهاد.

ثانيًا: اعتقاد بعض المخَتَنين بعدم تأصيل القرآن الكريم لبعض المفاهيم العقدية، ومنها: مفهوم الجهاد.

ثالثًا: غياب ثقافة معاملة غير المسلمين عن بعض المسلمين؛ مما يُؤثر بالسلب على مكانة الأمة الإسلامية بين الأمم الأخرى.

ثالثًا: خطة البحث: تشتمل الخطة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة.

أما المطالب الثلاثة: فهي كما يلي:

المطلب الأول: عرض شبهة انتشار الإسلام بالقوة والعنف ودراستها ونقضها.

المطلب الثاني: عرض شبهة الهدف من الجهاد الغنائم والسلب والنهب ودراستها ونقضها.

المطلب الثالث: عرض شبهة كيفية انتقال الدعوة إلى الجهاد مع الدعوة إلى السلام في الإسلام ودراستها ونقضها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رابعًا: منهج البحث:

أما عن المنهج الذي اعتمدت عليه: فإنه يجمع بين المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، مع الاستفادة من سائر المناهج الأخرى، حيث أتناول بعض الشبهات المثارة حول مفهوم الجهاد من بعض المستشرقين وأعداء الإسلام، وتحليلها وبيان مصدر الشبهة، ودراستها دراسة علمية، ثم نقضها وتفنيدها في ضوء القواعد والضوابط العلمية التي اتفق عليها علماء البحث العلمي. وذلك من خلال ما يلي:

أولًا: تأصيل مادة الجهاد والقتال والوقوف على حقيقة المعنيين، من خلال الاعتماد على بعض المعاجم اللغوية، وكذلك ذكر بعض التعريفات الاصطلاحية من بعض الكتب المختصة بهذا العلم.

ثانيًا: لم أعتمد في النقض والرد على الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ ولذلك لكون من يثير هذه الشبهات أغلبهم من غير المسلمين، وإن كان هناك من المسلمين من تأثر بهذا الفكر فهذا وأمثاله ممن لم يثمر في قلوبهم الإيمان فمهما ذكرت له من الآيات والأحاديث فهي لن تؤثر فيه -إلا من رحم ربي عز وجل- فمخاطبته بالعقل هنا أولى وأجدر وأقرب لقناعته ورده إلى الفهم الوسطي للإسلام، وإن كان هناك من المسلمين من تشدد في فهم الآيات والأحاديث[1] فوضعها في غير موضعها الصحيح السليم فهذا ينبغي مخاطبته برد الآيات والأحاديث بعضها لبعض، وعدم أخذ آية أو حديث والوقوف عليه وترك الباقي، فحينما يتم ربط الآيات والأحاديث بعضها مع بعض يكون الفهم الصحيح السليم للإسلام، ولكل مفاهيمه ومصطلحاته.

ثالثًا: تناولت الشبهات من خلال عدة نقاط، أولًا: عرض الشبهة وذلك بوضع تصور لها بلسان المعارض. ثانيًا: دراسة الشبهة دراسة كأن صاحبها هو من يعرض رؤيته في إثارته لشبهته. ثالثًا: النقض والرد على الشبهات -محل الدراسة- وذلك من خلال أولًا، ثانيًا، ثالثًا،.... وهكذا، ثم اعتمدت في النقض على ذكر أقوال المنصفين من

---

(1) الواقع المعاصر رصد الكثير والكثير من هذه الجماعات التي أساءت الفهم للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال العلماء العدول وحملتها فوق طاقتها، وبفهمها العقيم المتشدد كان ضررها أكثر من نفعها للإسلام والمسلمين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المستشرقين في الأول، والثاني، والثالث،....وهكذا، فإن كان هناك أي رد أو نقض من المسلمين جعلته بعد ذكر ردود العدول من المستشرقين المنصفين.

رابعًا: تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من كتبها الصحيحة مع ذكر الكتاب والباب، والجزء والصفحة، ورقم الحديث.

خامسًا: عزو الأقوال لقائليها، فإن كان فيها زيادة أو نقصان أو تعديل لبعض الجمل والعبارات قلت (بتصرف).

سادسًا: معايشة الشبهات المثارة -محل الدراسة- معايشة موضوعية، ونقضها والرد عليها من خلال أقوال المستشرقين أنفسهم، ولم أذكر في الرد والنقض أقوال العلماء من المسلمين وذلك لكون غير المسلم لا يؤمن بإسلامنا فالمنهج العلمي يقتضى مخاطبته بما يؤمن هو به، ولذا آثرت في نقض الشبهات الاستشهاد بأقوال المستشرقين المنصفين، وهذا أدعى لقبول الخصم واقتناعه ببطلان قوله.

وأما التمهيد: فأذكر فيه:

أولاً: مفهوم الجهاد والقتال.

ثانيًا: الدوافع الحقيقية للجهاد عند المسلمين.

وأما الخاتمة: فبها أهم النتائج والتوصيات، ثم المراجع والفهارس.

وصل الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وأبدأ -مستعينًا بالله تعالى سائلاً إياه العون والتوفيق والسداد- **بالتمهيد** وفيه:

أولاً: مفهوم الجهاد والقتال.

لكلمة الجهاد تعريفان أحدهما خاص والأخر عام، أما الخاص فهو التعريف اللغوي، وأما العام فهو الشرعي أو الاصطلاحي، فالجهاد في اللغة: مأخوذ من جهد، الجَهد بالفتح، المشقة والغاية، تقول: جهدت جهادًا، أي بلغت المشقة، والجُهد بالضم الطاقة والوسع، تقول: اجتهد في الأمر بذل وسعه وطاقته في طلبه ليبلغ مجهوده ويصل غايته، قال ابن الأثير: قد تكرر لفظ الجهد والجهد في الحديث، وهو بالفتح المشقة، وقيل المبالغة والغاية، وبالضم: الوسع والطاقة، وقيل: هما لغتان في الوسع والطاقة، فأما في المشقة والغاية فالفتح لا غير، وقيل: الجهد للإنسان، قال تعالى:{وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جُهْدَهُمْ)[1]، وقال تعالى:(وأقسَمُوا باللَّه جهْدَ أيمانهمْ)[2]، اي: حلفوا واجتهدوا في الحلف ان يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم، والاجتهاد: أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة. يقال: جَهَدْتُ رأيي وأجْهَدْتُهُ: أتعبته بالفكر، والجهادُ والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو"[3]، وعلى هذا فالجهاد في اللغة يعني معنيين أحدهما: المشقة والغلبة، والثاني: الوسع والطاقة.

أما في الشرع: فيطلق الجهاد شرعًا على: "بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله -عز وجل- بالنفس والمال واللسان، وقيل أيضًا: بذل الجهد والطاقة والمشقة لقتال الكفار مرضاة لله تعالى، ويطلق أيضًا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق، فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين، ثم على العمل بها، ثم على تعليمها، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات، وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب، وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب"[4].

أما عن مفهوم كلمة القتال فهي لفظة متعددة المعاني حيث إنها تعنى: إزهاق الروح، الموت، الفتك بالآخر، إضاعة الوقت، اللعن، البحث، مزج الخمر بالماء، إماطة الشهوات .... إلى غير ذلك من المعاني التي تدل دلالة واسعة على كثرة المعاني التي تحتويها الحروف الثلاثة (ق ت ل)، فالقاف والتاء واللام أصل صحيح يدل على إذلال وإماتة يقال قتله قتلًا، فهي من الكلمات التي لا يتحدد معناها إلا حينما تضاف إلى غيرها فمثلًا قتل الأعداء أي: فتك بهم وأزهق أرواحهم، قتل الموضوع أي: بحثه بحثًا دقيقًا، قتل الوقت أي: أضاعه بدون علم وفائدة، قُتل الإنسان أي: لُعن وطُرد من رحمة الله تعالى، ومنه قوله تعالى:{قُتِلَ الإنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ}[5]، قتل الخمر أي: مزجها بالماء ليكسر حدتها، قتل الله فلانًا أي: دفع شره ورد كيده، قتل النفس: إماطة الشهوات"[6].

---

(1) سورة التوبة ٧٩.
(2) سورة النور ٥٣.
(3) تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي مادة (جهد) ٥٣٤/٧، لسان العرب لابن منظور مادة (جهد)١٣٣/٣، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة (جهد)٢٠٨/١.
(4) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني ٩٧/٧، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٣/٦.
(5) سورة عبس ١٧.
(6) معجم اللغة العربية المعاصرة مادة (ق ت ل) ١٧٧٤/١، معجم مقاييس اللغة مادة (قتل) ٥٦/٥، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (فصل التاء) ١٦٨/١، المعجم الوسيط مادة (قتل) ٧١٥/٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعلى هذا فلفظة (قتل) لفظة متعددة المعاني وما يعنينا في بحثنا هذا هو القتل الذي بمعنى الموت وإزهاق الروح والذي يؤدى إلى الوفاة.

القتل في الاصطلاح يعني: "فعل يحصل به زهوق الروح، وأصله إزالة الروح كالموت لكن إذا اعتبر بفعل المتولي له يقال قتل، وإذا اعتبر بفوات الحياة يقال موت، أو هو فعل من العباد تزول به الحياة، أي أنه هدم للبنية الإنسانية"(١).

ثانيًا: الدوافع الحقيقية للجهاد عند المسلمين تتمثل هذه الدوافع فيما يلي:

أولًا: نشر الدعوة الإسلامية. ثانيًا: تأمين حرية العبادة للمسلمين وغيرهم.

ثالثًا: الدفاع عن المسلمين ورد العدوان(٢).

أولاً: نشر الدعوة الإسلامية:

إن الإسلام الذي نتعبد به لله تعالى ما كان في يوم من الأيام ليرغم ويجبر الناس على الدخول فيه أبدًا، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية أكثر من أن تُعد أو تحصى، ترجم هذه الآيات وتلكم الأحاديث إلى واقع ملموس أصحاب رسول الله وخلفاؤه، ومواقفهم الدالة على ذلك من الكثرة بمكان، فما ثبت عن أي منصف من عقلاء البشر الذين يدنون بغير الإسلام أن الرسول أو أصحابه جاهدوا وحاربوا من أجل إرغام وإجبار الناس على الدخول في الإسلام أبدًا لم يحدث هذا في الماضي، ولن يحدث في مستقبل الأيام من عقلاء المسلمين الذين يفهمون الإسلام فهمًا صحيحًا سليمًا، فنشر الدعوة الإسلامية وتبلغيها لأهل الأرض كافة إحدى المهام التي كُلف بها رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- من ربه عز وجل، "فالله تبارك وتعالى أراد لعباده المؤمنين قصدًا أرفع وأليق بوظيفتهم التي خلقوا من أجلها، ألا وهى الدعوة إلى دين الله، والجهاد في سبيل ذلك، والتضحية بالروح والمال في سبيل إعلاء كلمة الله"(٣).

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي ٧/ ٥٦١٣، التعريفات ١/ ٢٢٠، التعاريف١/٥٧٤.

(٢) ذكرت هنا ثلاثة دوافع فقط وذلك لتقيد البحث بعدد صفحات محدد لا يزيد عليه، وإن كانت الدوافع الحقيقية للجهاد أكثر من ذلك، فمن هذه الدوافع أيضًا محاربة الممتنعين عن أداء الشعائر كفعل سيدنا أبي بكر لمانعي الزكاة، وكذلك نصرة المظلومين وإغاثة المستضعفين، وكذلك أيضًا تأديب البغاة ومن على شاكلتهم .... إلى غير ذلك من الدوافع التي نجعل لها -إن شاء الله تعالى- مجالًا لبحث لخر أكبر وأوسع من بحثنا هذا في مستقبل الأيام.

(٣) فقه السيرة د/محمد سعيد البوطي ص ٢٣٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن هذا التطور والدعوة ما كان هو أوله الحرب والقتال، ولكن كان هناك منهج إلهي عبر عنه القرآن الكريم حينما قال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل ١٢٥ هذا منهج الدعوي السلمي قبل بدايات المعارك والحروب، ودليل ذلك ما وصى به سيدنا أبو بكر -رضي الله عنه- أسامة ومن معه وذلك من خلال وصيته الخالدة التي احتوت على أشرف المبادئ الإنسانية، ودستور معاملة الآخر هي رحاب المعركة، فكان مما جاء في وصيته الخالدة: "لا تخونوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تقعروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له"(١).

هذه الوصية الخالدة لم تكن عبارة عن كلمات قولت وإنما كانت كلمات يقابلها التطبيق والتنفيذ مباشرة، وهذا ما أدي بالمسلمين إلي النصر علي أعدائهم، "تلك هي وصية أبي بكر -رضي الله عنه- لجنده وقواده، وهي من الوصايا الخالدة في التاريخ، والتي تحتوي علي أشرف المبادئ الإنسانية وأسماها، ودستور عظيم لتنظيم الحروب، وقصر أخطارها علي المحاربين وحدهم، ومنع المثلة والتخريب، وحقن دماء غير المحاربين من النساء والأطفال والشيوخ، فهي بتلك المبادئ تختلف اختلافاً كبيراً عن نظم الحرب وشرائعها التي كانت نافذة في ذلك الزمن"(٢).

ثانيًا: تأمين حرية العبادة للمسلمين وغيرهم.

إن الأمن والأمان في كل جوانب الحياة مطلب من مطالب الشريعة الإسلامية، حتى العبادات نفسها لا بد من تحقق الأمن والأمان فيها، فالصلاة في حالة تحقق الأمن والأمان لها كيفية تقضى من خلالها، وفي حالة الخوف لها كيفية تقضى من خلالها أيضاً، وفي فريضة الحج كذلك اشترط الفقهاء تحقق الحاج من أمنه وأمانه، وعند فقده للأمن والأمان لا يجب عليه أداء الفريضة، فتأمين العبادات وحرية أدائها مطلب أساسي في الإسلام لا محيص عنه أبدًا، وهذا الأمن ليس قاصرًا على المسلمين وحدهم وإنما شامل للمسلمين وغيرهم من أهل الأديان الأخرى فهم أحرار في عبادتهم يعبدوا ما شاءوا

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢/٢٤٦، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٢٠٠.
(٢) تاريخ الأمة العربية د/عبد الفتاح شحاتة ١/ ٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقتما شاءوا على أي كيفية شاءوا، إن حرية العبادة تُعد أول حقوق الإنسان التي يَثبت له بها وصف إنسان، فالذي يَسلُب إنسانًا حرية الاعتقاد، مثل من يأخذ مال غيره بغير إذنه فحده في الشرع أن تقطع يده إن توافرت فيه شروط السرقة، ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، والأمن من الأذى والفتنة، فالإسلام كفل لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي حرية المعتقد، وحرية أداء العبادة، وحماية معابدهم وصوامعهم وبِيَعهم، يؤكد كل هذا ما شهد به أعداء الإسلام أنفسهم من المستشرقين المنصفين وكما يقولون والفضل ما شهدت به الأعداء.

تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه:"العرب لم يَفرِضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام؛ فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، سُمِح لهم جميعًا دون أي عائق يَمنعهم بممارسة شعائر دينهم، وترَك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يَمسُّوهم بأدنى أذى، أوَ ليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مِثل تلك الأعمال ومتى؟ ومَن ذا الذي لم يتنفَّس الصُّعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ، وبعد فظائع الإسبان واضطهاد اليهود؟ إن السادة والحكام المسلمين الجُدد لم يزجوا أنفسهم في شؤون تلك الشعوب الداخلية، فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب: إنهم يمتازون بالعدل ولا يَظلِموننا ألبته، وهم لا يستخدمون معنا أي عنفٍ"[1]، وقريب من هذه الشهادة أيضًا شهادة ول ديو رانت صاحب قصة الحضارة فنراه يقول: "لقد كان أهل الذمة المسيحيون، والزرادشتيون واليهود، والصابئون، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرًا في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحرارًا في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء زي ذي لون خاص، وأداء فرضة عن كل شخص، تختلف باختلاف دخله وتتراوح بين دينار وأربعة دنانير (من ٤,٧٥ إلى ١٩ دولارًا أمريكيًا). ولم تكن هذه الضريبة تفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويعفى منها الرهبان والنساء والذكور الذين هم دون سن البلوغ، والأرقاء،

[1] شمس العرب تشرق على الغرب تأليف زيغريد هونكه ص٣٦٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والشيوخ، والعجزة، والعمى الشديد والفقر، وكان الذميون يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم، وقضاتهم وقوانينهم،..... وظلت الكنائس المسيحية في مصر تتمتع بالميزات التي منحتها إياها الحكومة البيزنطية قبل الفتح العربي، وكان اليهود في بلاد الشرق الأدنى قد رحبوا بالعرب الذين حرروهم من ظلم حكامهم السابقين.... ويحدثنا المؤرخون أنه كان في بلاد الإسلام في عصر المأمون أحد عشر ألف كنيسة، كما كان فيها عدد كبير من هياكل اليهود ومعابد النار، وكان المسيحيون أحرارًا في الاحتفال بأعيادهم علنًا، والحجاج المسيحيون يأتون أفواجًا آمنين لزيارة الأضرحة المسيحية في فلسطين»[1] أي حرية في العبادة أكثر مما قرأنا، أي أمن وأمان في أداء الشعائر شهد به غير المسلمين حتى لا يقال أن المسلمين يشهد بعضهم لبعض[2]. إذا فمن دوافع الجهاد عند المسلمين الأوقات التي لا يستطيعون وغيرهم من أداء عباداتهم بحرية كاملة، محقق فيها الأمن والأمان باعتباره العنصر الأساسي في تحقق العبادة بإخلاص وطمأنينة.

ثالثًا: الدفاع عن المسلمين ورد العدوان.

الدافع الثالث من دوافع الجهاد عند المسلمين هو "الدفاع عن المسلمين ورد العدوان" حيث إن الظلم في حياة الأمم لا ينتهي أبدًا ولا ينقطع، ففي حالة الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين يُشرع الجهاد دفعاً للظلم، ومقاومة للباطل، وردًا للعدوان، وإحقاقًا للحق، ونشرًا للدعوة، ومنعًا للكفر من الانتشار، وإرساء لمبدأ العدل، وتحفيزًا للسلام الذي جاء به رسول الإسلام -صلى الله عليه وسلم-، وتحقيقًا لأهداف الدعوة إلى الله، ودفاعًا عن الأعراض والأوطان والأموال والتي هي من أصول الكليات الخمس، ولا شك أن كل هذا يُعد من الدوافع التي من أجلها شُرع الجهاد عند المسلمين، والآيات القرآنية أكبر دليل على ذلك، فمن ذلك قوله تعالى "﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾البقرة ١٩٠، وفي آية أخرى نرى قوله تعالى:﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ

---

(١) قصة الحضارة ول ديورانت ٤٨٥/١:٤٨٧(بتصرف).

(٢) يلاحظ هنا أنى أتيت بنماذج من شهادات غير المسلمين على حرية العبادات وأداء الشعائر لغير المسلمين المقيمين على أرض المسلمين من أبناء جنسهم هم، وكما يقول الشاعر: ومناقب شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}الحج٣٩، وقوله:{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}النحل ١٢٦، والمتأمل في سيرته -صلى الله عليه وسلم- يجد أنه ما جاهد إلا لتحقيق مبدأ الدفاع عن النفس، ورد عدوان الظالمين، حتى في أول غزوة من غزواته -صلى الله عليه وسلم- نجد أنه ما خرج أبدًا بقصد الجهاد والحرب، ولكن خرج ومعه جمع من أصحابه بقصد الاستيلاء على قافلة أبي سفيان، يؤكد هذا ما ورد في كتاب فقه السيرة: "يدلنا السبب الأول لغزوة بدر أن الدافع الأصلي لخروج المسلمين مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يكن القتال والحرب، وإنما كان الدافع قصد الاستيلاء على عير قريش القادمة من الشام تحت إشراف أبى سفيان، غير أن الله تبارك وتعالى أراد لعباده غنيمة أكبر، ونصرًا أعظم، وعملًا أشرف وأكثر انسجامًا مع الغاية التي ينبغي أن يستهدفها المسلم في حياته كلها، فأبعد عنهم العير التي كانوا يطلبونها، وأبدلهم بها نفيرًا لم يكونوا يتوقعونه"[1].

تلك هي بعض الدوافع التي شُرع الجهاد من أجلها، فالعاقل من البشر يقر بعين ثاقبة أنها ليست اعتداء على الأخرين، وإنما يستعملها المسلمون عند الضرورة وعندما يلجأون إليها فقط، وذلك لأن أصل الإسلام السلم والسلام والأمن والأمان.

وبعد حديثنا عن التمهيد والذي احتوى على نقطتين هامتين أولهما: مفهوم الجهاد والقتال.

ثانيهما: الدوافع الحقيقية للجهاد عند المسلمين نعيش في الصفحات القادمة مع:

المطلب الأول: عرض شبهة انتشار الإسلام بالقوة والعنف ودراستها ونقضها.

من أكثر الشبهات انتشارًا وذيوعًا على المستويين المستوى الإسلامي العربي، والمستوي العالمي شبهة: "انتشار الإسلام بالقوة والعنف والسيف" ولم ينتشر بالحرية والاختيار والطواعية، وإنما من دخل فيه إنما دخله خوفًا من السيف وقطع الرقاب، فبناءً على هذا عرضوا شبهتهم وقيدوها بأنها من المأخذ على الإسلام أنه دين يدعو إلى العنف

[1] فقه السيرة د/محمد سعيد البوطي ص٢٣٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والكراهية وتقطيع الرقاب وإراقة الدماء ..... إنى عبر ذلك من الأمور التي لا تنتهى ولا تنقطع أبدًا[1]. **هذا هو مجمل الشبهة.**

أما عن دراسة الشبهة: يمكن القول بأن من لا يعرف حقيقة الإسلام وجوهره وقيمه الروحية والنفسية، ومدى احترامه وتقديره للآخر حتى ولو كان مخالفًا له لقال مثل ما قال هؤلاء المستشرقين من كون الإسلام دين محب لسفك الدماء، محب لقتل كل من يخالفه ويعتقد اعتقادًا مخالفًا له، هذا ما يفهم من الشبهة المثارة آنفًا.

أما عن نقض الشبهة والرد عليها: فبداية أحب أن أذكر أن في الرد على الشبهة هذه وأمثالها ينبغي أن يكون عماد الرد والنقض من كتب من أثاروها أنفسهم فهذا أدعى لتسليم المخالف لك في الرأي، حينما ترد عليه بأقوال قرنائه من بنى جلدته، ثم تدعم كلامك بما جاء في كتبك أنت وهكذا، وأنقل هنا كلامًا لواحد من الفلاسفة المنصفين في أعمالهم العلمية وفي مكانتهم بين أقوامهم، فليسوف له وزنه في العلوم الحديثة، حيث كتب كتابًا لا ينقصه عليه إلا النطق بالشهادتين ليكون بذلك من أعظم من خدموا الإسلام بكتابه هذا، إنه الفليسوف الفرنسي جوستاف لوبون صاحب كتاب حضارة العرب، حيث ذكر في مقدمة كتابه ما نصه: "إن القوة لم تكن عاملًا في انتشار القرآن ما ترك العرب المغلوبين أحرارًا في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض أقوام النصرانية الإسلام، واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يزوا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل ولم ينتشر القرآن إذن بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخرًا، كالترك والمغول .... حيث أدرك الخلفاء السابقين أن النظم والأديان ليست مما يُفرض قسرًا؛ فعاملوا أهل كل قطر استولوا عليه بلطف عظيم، تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم، غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة في الغالب، إذا ما قيست بما كانوا يدفعون سابقًا في مقابل حفظ الأمن بينهم، فالحق أن

---

(1) من القائلين بهذه الشبهة المستشرق الإنجليزي رينولد ألين نيكلسن حيث قال: وأخضع سيف الإسلام شعوب أفريقيا وآسيا شعبًا بعد شعب، وقريب من هذا الكلام يقول لطفي ليفونيان: إن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح. يراجع: كتاب التبشير والاستعمار للأستاذ عمر فروخ، والأستاذ مصطفى خالدي ص٤١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم"[1]. هذا الكلام قيل أثناء تأليف هذا الكتاب عام ١٨٨٤م أي ما يقرب من قرن وربع من الزمان قاله من لا يدين بالإسلام، فهل بعد هذا الرد رد آخر، أم نرفض هذا الكلام لأنه ورد من فليسوف عاقل متعقل، الأمانة العلمية هي ديدنه الأول والأخير، "إن القوة لم تكن يومًا عاملًا في انتشار القرآن" فكيف يقولون بأن الإسلام انتشر بالقوة والعنف، "ولم ينتشر القرآن إذن بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها" هذا إقرار من بنى جنس المستشرقين الذين يرفضون الإسلام رفضًا فيه الدلالة على عنادهم، وعلى كذبهم، وعلى كبريائهم وعدم اعترافهم بالحق، ومما يؤكد فراسة القادة الإسلاميين أنهم تركوا أهل البلاد المفتوحة على ما هم عليه من اعتناقهم لدينهم اليهودي كان أم النصراني "تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم، غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة في الغالب، إذا ما قيست بما كانوا يدفعون سابقًا في مقابل حفظ الأمن بينهم"، ويختم بقوله: "فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم" هل بعد هذه الشهادة شهادة على تسامح الإسلام مع من مخالفيه من أهل الديانات الأخرى، وعلى كذبهم في شبهتهم التي أوردها، أم أن غوستاف لوبون هذا كان مسلمًا ولم يعرف أحد بإسلامه، وليس ببعيد أن يأتي في مستقبل الأيام من يقول بإسلامه وينسب كتابه هذا إلى تعصبه للإسلام هذا أولًا: في كتاب الأبطال لتوماس كارليل وهو يرد على شبهة انتشار الإسلام بالسيف كان مما قاله: "وقد جاءهم محمد من طريق الرفق والأناة"[2]، ويؤكد هذه المقولة ما نقله عنه الأستاذ عباس العقاد في كتابه حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، تحت عنوان حقوق الحرب حيث قال:"إن اتهامه –أي سيدنا محمدًا – بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم؛ إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس، أو يستجيبوا له، فإذا آمن به من لا يقدرون على حرب خصومهم، فقد آمنوا به طائعين مصدقين، وتعرضوا للحرب من غيرهم قبل أن يقدروا عليها"[3]. هذا الفليسوف الإنجليزي هو الذي يرفض شبهة القول بانتشار الإسلام بالقوة

---

(١) حضارة العرب غوستاف لوبون مقدمة الكتاب ترجمة عادل زعيتر.
(٢) محمد المثل الأعلى توماس كارليل ص ٣٨، المحاضرة الخامسة، ترجمه للعربية محمد السباعي.
(٣) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه الأستاذ عباس العقاد ص٢٢٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والعنف والسيف، حيث إنه ليس من المعقول أن رسولاً جاء للبشرية بالرفق والأناة ثم يعمل على نشر وتبليغ دينه بالقوة والعنف، هذا عقلاً لا يتفق مع مبدأه الذي جاء به ألا وهو الرفق واللين والتؤدة، ثم إنه نفسه يستهزأ ويسخر من كل من يقول بأن محمدًا حمل السيف لإرغام الناس على الدخول في دينه فهذا سخف غير مقبول أبدًا، أليس توماس هذا فليسوف إنجليزي له مكانته ودرجته العلمية المعترف بها بين أبناء جنسه، وما أروع تعبير الأستاذ العقاد حيث ذكر قوله: "وقد فطن لسخف هذا الادعاء كاتب غربي كبير هو توماس كارليل فإنه اتخذ سيدنا محمدًا مثلاً".

ثانياً: يقول العقاد بنظرة عامة على خريطة العالم في الوقت الحاضر لنعلم أن السيف لم يعمل في انتشار هذا الدين:" فالبلاد التي قُلّتْ فيها حروب الإسلام هي البلاد التي يُقِيم فيها اليوم أكثر مسلمي العالم، وهي بلاد إندونيسيا والهند والصين، وسواحل القارة الإفريقية، وما يليها من سهول الصحارى الواسعة؛ فإن عدد المسلمين فيها قريب من ثلاثمائة مليون، ولم يقع فيها من الحروب بين المسلمين وأبناء تلك البلاد إلاّ القليل الذي لا يُجْدِي في تحويل الآلاف عن دينهم بل الملايين، ونقارن بين هذه البلاد والبلاد التي اتُّجِهَتْ إليها غزوات المسلمين لأوّل مرة في صدر الدعوة الإسلامية، وهي بلاد العراق والشام، فإن عدد المسلمين فيها اليوم قلّما يزيد على عشرة ملايين، يعيش بينهم من اختاروا البقاء على دينهم من المسيحيين واليهود والوثنيين وأشباه الوثنيين"[1]. أين العنف والقهر والسيف فيما قاله المستشرقون بعد قراءتهم لكلام الأستاذ العقاد.

ثالثاً: في كتاب حاضر العالم الإسلامي لمؤلفه الأمريكي لوثروب ستودارد كلام يستحق أن يكتب بماء من الذهب، وكأنه يفند ويرد على من يقول بأن الإسلام انتشر بالقوة والسيف فقال: "لم تكن قضية الجهاد ترمى إلى هداية البشر تحت التهديد بالسيف كلا بل جاء في القرآن:{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[2]، وجاء في القرآن النهي عن الاعتداء، وكل ما ورد فيه مما يتعلق بالجهاد في آيات متعددة متفرقة هو موقوف على حوادث خاصة معينة وقعت مع النبي وأصحابه، ولا يكون موافقًا للواقع أن يتخذ منها قاعدة عامة يجب تطبيق أحكامها على جميع الأحوال ..... وكثيرًا ما حلم

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه الأستاذ عباس العقاد ص٢٣٢.
(٢) سورة البقرة ٢٥٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محمد وعطف وتجاوز عن المسيئات، وفي ظفره الأخير قد أظهر من علو النفس ما يبذر نظيره في التاريخ، وكان يأمر جنوده أن يتجنبوا الضعفاء، والأطفال، والنساء، والشيوخ، ويحظر عليهم أن يهدموا البيوت، أو أن يقطعوا الأشجار المثمرة، وكان يأمرهم أن لا يسلوا السيوف إلا عند الضرورة المطلقة، وكثيرًا ما أنكر أعمال بعض أتباعه وجبر ما كسروه، وكان يقول لأن يهدى الله نفسًا واحدًا خير من جميع مكاسب الدنيا،"فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم"[1]..... وكثيرًا ما كان يحض على العفو عند المقدرة"[2]. أين من يقول إن انتشار الإسلام بالسيف والقوة والإكراه على الدخول فيه، أبعد هذه الشهادة شهادة أخرى، أبعد هذا الإقرار إقرار أخر يبطلان ما يدعيه القائلين بشبهة انتشار الإسلام بالقوة والعنف، ما أروع قوله حينما يقول: ولم تكن قضية الجهاد ترمى إلى هداية البشر تحت التهديد بالسيف، إنه يرفض ربط مسألة الجهاد في الإسلام وأخذها على عمومها وإنما هي مرتبطة بحوادث ووقائع معينة، فلا يصح أن تكون واقعًا عامًا للمسلمين في كل زمان ومكان، ما أجمل قوله حينما يتحدث عن حث الرسول لأصحابه بعدم سل السيوف إلا عند الضرورة المطلقة، "وكان يأمرهم أن لا يسلوا السيوف إلا عند الضرورة المطلقة"، ثم يوضح أن رسول الله ما جاء للبشرية إلا بقصد دعوتها وهدايتها إلى طريق الله تعالى، يا أصحاب العقول أين شبهة القهر والقوة والإكراه وحمل السيوف على من لم يسلم، هذا حديث من لا يدين بالإسلام، فما بالك بمن يدين بالإسلام نفسه.

رابعاً: حينما نعتمد في نقض هذه الشبهة فإنا نعتمد على شهادات غير المسلمين، وليس على شهادة المسلمين أنفسهم وذلك لعدم الاحتجاج بكون المسلمين يشهد بعضهم لبعض، فممن رفض القول بنسبة هذه الشبهة وغيرها للإسلام أحد أعلام المسيحية في العصر الحاضر ألا وهو الدكتور نبيل لوقا بباوي وهو المسيحي المصري المؤمن بدينه، حيث رفض إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام دين إخوته المسلمين في مصر، فغدا يقرأ ويعد ويكتب فأخرج للنور مؤلفين ينبغي على كل وطني مسلم أو مسيحي أن يقرأهما

---

(1) أخرجه البخاري ك/ المغازي، ب/غزوة خيبر ١٣٤/٥، رقم (٤٢١٠).
(2) حاضر العالم الإسلامي تأليف لوثروب ستودارد ٩٢،٩١/١ (بتصرف).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأول عنوانه: انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء[1]، والثاني: الإرهاب لا يمكن أن يكون صناعة إسلامية وإنما هو ظاهرة عالمية لا صلة لها بالإسلام[2]، يؤكد هذه الكلمات ما ذكره روبرتسون "إن أتباع محمد هم الأمة الوحيدة التي جمعت بين التحمس في الدين والتسامح فيه، أي أنها مع تمسكها بدينها لم تعرف إكراه غيرها على قبوله"، وكذلك يذكر توماس أرنولد ما نصه: "إن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة، وإن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح"[3] فأي إكراه أو إجبار أو عنف أو سيف حتى يدخل الناس في الإسلام، فمن دخل في الإسلام وهو مكره فإسلامه غير مقبول لأن عنصر الرضا والقناعة مفتقد في إسلامه، وقد عبر عن ذلك الإمام السعدي بقوله: "والمكره ليس إيمانه صحيحًا"[4].

خامساً: في سبب نزول قوله تعالى {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} البقرة ٢٥٦، قال السدى: نزلت في رجل من الأنصار يكنى أبا الحصين، وكان له ابنان، فقدم تجار الشام إلى المدينة يحملون الزيت، فلما أرادوا الرجوع من المدينة أتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا وخرجا إلى الشام، فأخبر أبو الحصين رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: اطلبهما، فأنزل الله عز وجل:{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[5]. وفي تعليق على هذه الآية من قبل الشيخ السعدي نراه يقول: "يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة أثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس،

---

(١) كُتب على غلافه العبارة التالية "الكتاب وافق عليه الأزهر الشريف وأوصى بترجمته إلى كل لغات العالم فهو كتاب يهم كل مسلم ومسيحي"

(٢) وفي جريدة الشرق الأوسط الصادرة يوم الجمعة بعددها ٩٠٦٨ الموافق ٢٩ رجب ١٤٢٤هـ /٢٦ سبتمبر ٢٠٠٣م كتب الأستاذ/محمد خليل معلقًا على كتاب المفكر نبيل لوقا تحت عنوان "دراسة لمفكر قبطي: ليس في القرآن ما يدعو إلى الإرهاب" شهادة جديدة من غير المسلمين لأكد المفكر القبطي الدكتور نبيل لوقا ببياوي أنه لا علاقة بين الإسلام والأفعال الإرهابية التي يرتكبها قلة ضالة من المسلمين لأن الإسلام حجة على تابعيه وليست تصرفات تابعيه حجة عليه، وأوضح الدكتور لوقا في دراسة صدرت حديثًا في كتاب بعنوان «الإرهاب صناعة غير إسلامية» أن الإرهاب ظاهرة عالمية لا دين له ولا وطن، مؤكدًا أن الأديان السماوية الثلاثة «الإسلام والمسيحية واليهودية» أديان تدعو إلى المحبة وتحرم قتل النفس ولا تقر الإرهاب.

(٣) الدعوة إلى الإسلام توماس أرنولد ص٧٠، ترجمه إلى العربية د/حسن إبراهيم وآخرون.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي ١١٠/١.

(٥) أسباب نزول القرآن للواحدي ٥٢/١، لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ٤٨/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره، وعرف الرشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه آثره واختاره، وأما من كان معلول القصد فاسد الإرادة، خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة والفائدة فيه"[1]، وقريب من هذا المعنى يذكر ابن كثير ما نصه :"لا إكراه في الدين أي لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهًا مقسورًا"[2]، وليس هذا فحسب بل في القرآن الكريم نفسه صورة قرآنية كاملة باسم الكافرون في تذييل آخرها قال الله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} الكافرون ٦، قال الإمام الرازي: "لكم عادتكم المأخوذة من أسلافكم ومن الشياطين، ولي عادتي المأخوذة من الملائكة والوحي، ثم يبقى كل واحد منا على عادته، حتى تلقوا الشياطين والنار، وألقى الملائكة والجنة"[3]. قال أبو حيان: "أي لكم شرككم ولي توحيدي، وهذا غاية في التبرؤ"[4]. هل بعد هذه الأقوال والإقرارات والشهادات من غير أهل الإسلام ما زال البعض يصر ويؤكد على شبهة انتشار الإسلام بالقوة والعنف.

سادساً: أختم نقض هذه الشبهة بدليل عقلي لمن له عقل يُفكر به أو يدعي أنه من المفكرين المثقفين الذين يدعون العلم والمعرفة أقول لهم ولأمثالهم أنتم تقولون بأن القوة والسيف والعنف هم السبب في انتشار الإسلام وليست المحبة والسلم والأمن والأمان والاختيار أقول على فرض صحة قولكم فلماذا يوجد الآن يهود ونصارى وبوذيين ....وغيرهم ممن لا يدينون بالإسلام؟، أليس من المفترض على حد قولكم أن الإسلام قضى على هؤلاء جميعًا؟ أين أنتم من اليهود الذين كانوا في المدينة إبّان هجرة الرسول إليها؟ لماذا عقد معهم وثيقة المدينة المعروفة؟ أين وفد نصارى نجران؟ ولماذا لم يجبرهم

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي ١١٠/١.
(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٢١/١.
(3) مفاتيح الغيب للرازي ٣٣٢/٣٢.
(4) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ٥٦١/١٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرسول على الدخول في الإسلام؟ والكتب تثبت أنهم لم يسلموا وقبلوا دفع الجزية، وأرسل معهم أبا عبيدة بن الجراح لأخذ الجزية منهم، وعند فتح بيت المقدس لم يجبر أو يكره سيدنا عمر أحدًا على الدخول في الإسلام بل حافظ على معابدهم وكنائسهم وأديرتهم وذلك من خلال العهدة العمرية فأين القهر والقوة والسيف للدخول في الإسلام؟ وهل معنى أخذ الجزية ممن لم يسلم إلا أكبر دليل على إبقاءه على دينه، فأين القهر والعنف والإكراه والإجبار على الدخول في الإسلام؟ أفيقوا من ثباتكم، أفيقوا من غيكم، شبهتكم باطلة زائفة لا محل لها من الإعراب كما يقول أهل اللغة.

المطلب الثاني: عرض شبهة الهدف من الجهاد الغنائم والسلب والنهب ودراستها ونقضها.

من الأمور المسلمة لدى العقلاء من البشر أن الأصل في الدين الإسلامي أنه ما جاء إلا من أجل السِلم والسلام ومساعدة الأخرين، فاسمه نفسه دليل على أصل ما جاء به، وبنظرة للشبهة -محل الدراسة- نرى أن مروجيها ينظرون إلى الجهاد باعتباره مصدرًا من مصادر الثروة الاقتصادية في بناء الدولة الإسلامية، حيث يقصرون نظرتهم إلى الغنائم والمال فقط، فالجهاد عندهم ما شُرع إلا للسلب والنهب وأخذ مال الغير بدون وجه حق كما يقولون[1]، **هذا مجمل الشبهة من وجهة نظر قائلها.**

أما عن دراسة الشبهة هذه: يمكن القول بأن النظر من جهة واحدة لأية مسألة ما، هي نظرة قاصرة، ليس لها أساس في المنهج العلمي الصحيح، فالحكم لا يصح أن يصدر عن جزئيات أبدًا، فهذا الحكم مثل المريض الذي يذهب للطبيب ثم يعطيه الطبيب جرعة من الدواء فيأخذ المريض بعض الدواء ويترك البعض الأخر، وبعد فترة لا يُشفى من مرضه فينسب التقصير والإهمال للطبيب وينسى أنه نفسه لم يلتزم بتعليمات

(1) من القائلين بهذه الشبهة المستشرق الإنجليزي دافيد صمويل مرجليوث في كتابه "محمد وظهور الإسلام" عام ١٩٠٥م، يقول العلامة المسلم عبد العزيز جاويش معلقًا على الكتاب ومؤلفه: لقد كنت إبان ظهور هذا الكتاب في مدينة أكسفورد، حيث المؤلف، فلما ذكرت له رغبتي في شراء كتابه وعد أن يقدم لي نسخة، ثم جعل يتباطأ تارة ويتناسى أخرى، حتى مللت وعوده وظننت أنه لا بد لهذا الكتاب من سر يريد إخفاءه عني، ولا سيما والمؤلف يعلم أنني ضعيف الثقة بكثير من المستشرقين، سيئ الظن بهم، وقد كنت في الواقع كذلك... فلما حصلت على الكتاب وتصفحته، ثم درسته بابًا بابًا، وكلمةً كلمةً، حتى جئت على آخره فوجدته عند ظني به، وجدته حارب التاريخ كما حارب الإنصاف، وحمل على الرسول الكريم حملات منكرة، ويظهر أن المؤلف توقع أن لا يقع كتابه إلا في أيدي البله، ولا يطلع عليه إلا الأغرار، فلم يبالِ أن جاء فيه بمحدثات، لو أنه تدبر لما اجترأ على الإقدام عليها. وللمزيد يراجع هذا الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطبيب في أخذ جرعة الدواء كاملة مكملة، فهو نفسه أحد الأسباب في عدم اكتمال شفائه، فهؤلاء فعلوا كما فعل المريض فنظروا إلى طرف واحد من أطراف الجهاد وتركوا الباقي، ولكن السؤال هنا هل الغرض من الجهاد هو الغنائم والسلب وجلب الأموال فقط؟ وهذا ما سوف يظهر في الصفحات القادمة وذلك من خلال:

نقض الشبهة والرد عليها: فنقول هذه شبهة من شبه غير المسلمين ممن يدعون الفكر والثقافة، وللأسف الشديد يؤمن بها بعض ضعاف الإيمان الذين لم تثمر في قلوبهم حلاوة الإيمان، ويمكن الرد والنقض لها من خلال ما يلي:

أولًا: ما قاله رُسل المقوقس حينما رجعوا من عند عمرو بن العاص فاتح مصر فكان مما قالوه حينما سألهم المقوقس عن أحوال المسلمين، قالوا: "رأينا قومًا الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، إنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد فيهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد منهم يغسلون بالماء أطرافهم ويخشعون في صلاتهم"[1]، على القائلين بأن الهدف من الجهاد الغنائم والأموال التأمل في قول أصحاب المقوقس "ليس لأحدهم رغبة ولا نهمة" لا يريدون المال ولا غير المال، لأنهم يعرفون معنى كلمة الإسلام الحقيقية، الإسلام الذي أثمر رجالًا مثل هؤلاء الرجال، رجال لا يُعرف رئيسهم من مرؤوسهم الكل سواسية، وهم في مركز القوة والتمكن والسلطان، فأين المال وأين الغنائم لو هم خرجوا من أجل المال والغنائم كما يقول مدعي الشبهة، فشبهته مردودة عليه.

ثانيًا: تُرد هذه الشبهة أيضًا بما ذكره الفليسوف توماس كارليل بقوله: أيزعم الكاذبون أن الطمع وحب الدنيا هو الذي أقام محمدًا وآثاره؟ وهذا الزعم حماقة، وأيم الله سخافة وهوس.... لقد كان محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- زاهدًا متقشفًا في مسكنه، ومأكله، ومشربه، وملبسه، وسائر أمور حياته وأحواله، وكان طعامه عادة الخبز والماء

(1) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع الأندلسي ١٤/٤، فتوح مصر وأخبارها لأبي القاسم بن عبد الحكم ص٧٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وربما كان يصلح ويرقع ثوبه بيده، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟[1]. إن القول بأن الهدف من الجهاد هو الغنائم قول بغير دليل ولا برهان، أما الدليل والبرهان على كذب ما قالوا هي شهادة أحد أصدقائهم حينما قال: "أيزعم الكاذبون أن الطمع وحب الدنيا هو الذي أقام محمدًا وآثاره؟ وهذا الزعم حماقة، وأيم الله سخافة وهوس"، لقد صدق حينما قال أيزعم الكاذبون، وصفهم بالكاذبين وهو من بنى جلدتهم فهو أعلم بهم منا نحن، أين المال الذي تنعم به محمد وهو يرقع ثوبه بنفسه، وهو يخسف نعله بنفسه، وهو يحلب شاته بنفسه، كما يزعم هؤلاء المرجفون، وصدقت السيدة عائشة حينما سئلت ما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يصنع في بيته؟ قالت: "كان يرقع الثوب، ويخصف النعل" وفي رواية أخرى "كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة"[2]، هل بعد هذا ما زلتم تصرون على قولكم بأن الهدف من الجهاد الغنائم والأموال فقط، وصاحب الدعوة نفسه كان في مهنة أهل بيته، اسمحوا لي بالقول بأن شبهتكم مرفوضة وواهية أوهن من بيت العنكبوت.

ثالثًا: برد ونقض عقلي على تلك الشبهة نرى أن الغنائم التي يتحدثون عنها ويجعلونها هدف الجهاد الأول لا تأتي إلا بعد عدة أمور يسلكها المجاهدون أولًا، ومن الممكن ألا تتحقق أصلًا فأخلاقيات الجهاد التي يلتزم بها المجاهدون والتي علمهم إياها الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- تنص على أن هناك عدة خطوات لا بد من الالتزام بها قبل بدء المعركة، منها الدعوة إلي الإسلام أولًا، فإن قبلوا فبها ونعمة، وإن رفضوا يتم التحذير والإنذار لهم، ثم في الخطوة الثالثة يأتي القتال فإن كان النصر كانت الغنائم، وإن كان العكس -والعياذ بالله- فأين الغنائم التي يتكلمون عنها، أين غنائم غزوة أحد، أين غنائم فتح مكة، أين غنائم غزوة حنين وقد مُنع منها الأنصار، يا من تتحدثون عن الغنائم، نعم كانت هناك غنائم ولكنها ليست غنائم حسية وإنما هي غنائم معنوية، أعظم وأحسن غنيمة تتعلمها الأمة من هذه الغزوة ألا وهي غنيمة لا تنس من ذاكرتنا، ولا ذاكرة تاريخنا إنها غنيمة الطاعة المطلقة لله ورسوله الكريم-صلى الله عليه وسلم-، إذا

(١) مقال للأستاذة/آيات أحمد بعنوان"محمد صلى الله عليه وسلم هو النبي ذو الخلق العظيم حقًا" الخميس٢٤/ديسمبر٢٠١٥م، يراجع هذا الرابط: http://www.vetogate.com/1966672 .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٧٢/٤٣رقم(٢٦٠٤٨)،٢٧٤/٤٠(٢٤٢٢٦)،قال: شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالغنائم في الحروب تكون في المرحلة الرابعة فليست عنصرًا أوليًا في معارك المسلمين، وما يحاول أن ينساه المستشرقون في مسألة الغنائم أن من كان يسلم من الأسارى كان يُرد عليه ماله الذي أُخذ منه على سبيل الغنيمة(١)؛ لأنه أصبح واحدًا من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، فلماذا يذكرون الشطر الأول وينسون الشطر الثاني وهو رد المال إليه في حالة إسلامه، إذا فقولهم بأن الهدف من الجهاد الغنائم والسلب والنهب قول لا ينتمى للصحة بمكان، وهو طريق من طرق الباطل والزور الذي يُقصد به إثارة الشبهات، وإماتة باب الجهاد في نفوس أتباعه.

رابعًا: أقول للقائلين بهذه الشبهة أريد دليلًا واحدًا على صحة قولكم بأن الهدف من الجهاد الغنائم والسلب والنهب بل الأمر على العكس من ذلك تمامًا، فإن قرأتم القرآن بعين الإنصاف لوجدتم الكثير من آياته الدالة على عدم الاعتداء والتعدي على الآخرين أكثر من أن تُعد وتُحصى، فمن ذلك قوله تعالى:{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}(٢) نهي تام من الله تعالى عن الاعتداء، أليست هذه آية قرآنية تستحق أن تقفوا معها وقفة تأمل وإنصاف، ثم كيف تقولون بأن الهدف من الجهاد هو الغنائم والسلب والرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ماتوا وما تركوا من الدنيا لا قليلًا ولا كثيرًا، ألم تعرض قريش على الرسول المال ورفض، ألم يعرض ربنا -عز وجل- عليه جبال مكة ذهبًا فقال أجوع يومًا وأشبع يومًا، ففي سنن الترمذي ما نصه: "عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا، قلت: لا يا رب ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا"(٣)، أين حقيقة شبهة الهدف من الجهاد الغنائم والأموال والسلب والنهب فيمن عُرض عليه قلب الجبال ذهبًا فيفضل الجوع يومًا، والشبع يومًا أخر، وقد ثبت أن النبي -صلى الله عليه وسلم-:"نهى عن النهبة(٤) والمثلة"(٥)، أليس هذا ردًا ودليلًا كافيًا

---

(١) يراجع رد الكثير من الغنائم يوم حنين على من أسلم في كتاب فقه السيرة للغزالي ص٣٩٧ وما بعدها.

(٢) وردت لفظة "المعتدين" في القرآن الكريم أربع مرات وذلك في سور البقرة١٩٠، المائدة٨٧، الأعراف٥٥، يونس٧٤.

(٣) ب/ما جاء في الكفاف والصبر عليه ١٥٣/٤، رقم(٢٣٤٧).

(٤) النهب: الغنيمة، وهو الغلبة على المال والقهر، القاموس المحيط للفيروزأبادي١٧٩/١، المصباح المنير للفيومي مادة (نهب)٦٢٧/٢.

(٥) أخرجه البخاري ك/الذبائح والصيد، ب/ ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة ٩٤/٧ رقم (٥٥١٦). تعليق: مصطفى البغا (المثلة) قطع أطراف الحيوان أو بعضها، (المصبورة) الدابة المحبوسة وهي حية تقتل بالرمي ونحوه، (المجثمة) هي التي تربط وترمى حتى تقتل وهي في معنى المصبورة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على كذب وافتراء ما يدعيه هؤلاء، ماذا كان رد فعل أحدهم لو عُرض عليه هذا العرض أيقبل أم يرفض؟ كفى هذا ردًا ونقضًا لشبهتكم هذه. بهذه الردود الأربعة تصبح الشبهة القائلة بأن الهدف من الجهاد الغنائم والسلب والنهب شبهة لا أساس لها من الصحة وهي مردودة على أصحابها بعد نقضها وتفنيدها تفنيدًا عقلانيًا بعيدًا عن القرآن والسنة المطهرة، حيث إن أصحابها لا يؤمنون لا بالقرآن ولا بالسنة فيكون الرد والنقض لكلامهم من كلامهم هم، وبشهادة بني جنسهم هم.

المطلب الثالث: عرض شبهة كيفية اتفاق الدعوة إلى الجهاد مع الدعوة إلى السلام في الإسلام ودراستها ونقضها.

هذه هي الشبهة الثالثة -محل بحثنا- والتي يمكن عرضها من خلال قول البعض من المستشرقين بأنه كيف يُعقل أن يتفق مفهوم الدعوة إلى الجهاد مع ما يدعيه المسلمون من أن أصل رسالة الإسلام هي السلام والأمان لهم ولغيرهم؟، فلو أن رسالتهم السلام كما يقولون فلماذا الجهاد إذن؟ **هذا مجمل الشبهة من وجهة نظر قائلها.**

أما عن دراسة الشبهة هذه: يتصور قائلي هذه الشبهة أن الجهاد معناه الاعتداء على الأخرين، هذا أمر. وهناك أمر أخر مضمونه قياس عقلي أنه إن كان من أهداف الإسلام الدعوة إلى السِلم والسلام فكيف تتفق هذه الأهداف مع دعوته إلى الجهاد والاعتداء على الأخرين، هذا هو تصور مثيري الشبهة وقائلها.

أما عن نقض الشبهة والرد عليها: يمكن نقض هذه الشبهة من عدة نواحي:

أولًا: أبدأ في نقض ودحض هذه الشبهة بما ذكره جوستاف لوبون في مقدمة كتابه حضارة العرب، وأنقله بنصه حيث قال: "فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم"[1]، هذه شهادة مستشرق وفليسوف فرنسي له جهوده العلمية في قراءته للتراث الإسلامي، وشهادته هذه دون خوف أو فزع من أحد، فكلامه شاهد عيان على بطلان الشبهة -محل حديثنا- فالبشرية لم تعرف في تاريخها فاتحين متسامحين مثل العرب، فلو أن الدعوة إلى الجهاد تتناقض مع دعوته للسلام فهل

[1] حضارة العرب جوستاف لوبون ص ٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من المعقول أن يترك أصحاب الديانات الأخرى على ديانتهم؟ وكما لم تعرف البشرية مثل العرب في تسامحهم كذلك لم تعرف البشرية أيضًا مثل الإسلام في تعامله واحترامه لعقيدة للأخر، أريد من القائلين بهذه الشبهة دارسة الفتوحات الإسلامية جيدًا ومقارنتها بفتوحات الرومان والفرس والمراحل التي أعقبت الحروب مباشرة، وذلك حتى يعرفوا الفرق في الحرب بين الفريقين، ولكن بعين الإنصاف لا بعين العصبية والتعصب لمذهب أو عقيدة.

ثانيًا: في كتاب الدعوة إلى الإسلام للمستشرق البريطاني توماس أرنولد ورد تحت عنوان "فتح العرب بلاد الشام وفلسطين" ما نصه:"ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن وعسكر أبو عبيدة في فحل[1] كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون: "يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، وأنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا ومنازلنا، وغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم"[2]، وفي نفس الكتاب يذكر توماس:"وعقد النبي مع المسيحيين منهم معاهدة سمح لهم فيها بأن يحتفظوا بدينهم القديم....وقد حرّم الخليفة عمر استخدام أي وسيلة من وسائل الضغط عليهم عندما أظهروا أنهم لا يرغبون في ترك دينهم القديم، وأمر بترك الحرية لهم في إقامة شعائرهم الدينية"[3]. أي عقول تدرك، وأي أسماع تسمع، وأي أعين تقرأ بعد قراءة ما سجلته أقلام بنى دينهم من غير المسلمين، لقد سمح النبي -صلى الله عليه وسلم- لغير المسلمين بالبقاء على دينهم، ليس مسامحة فحسب، بل كتب بذلك وثيقة معروفة على مدى العهود والأزمان، وليس هذا الأمر قاصرًا على الرسول -صلى الله عليه وسلم- وحده بل خلفاؤه على منهجه يسيرون ومتبعون، فها هو سيدنا عمر بن الخطاب يحرّم أي وسيلة من وسائل الضغط

(١) جبل قُرب طبرية يقع في الأردن. يراجع معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٣٧/٤.
(٢) الدعوة إلى الإسلام توماس أرنولد ص٧٣، ترجمه إلى العربية د/ حسن إبراهيم وأخرون.
(٣) المرجع السابق ص٦٧، هذا الكلام وارد تحت عنوان "التسامح يشمل هؤلاء الذين ظلوا على المسيحية".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على غير المسلمين لدخولهم في الإسلام، فإسلام المكروه غير مقبول كما قلنا آنفًا، إذا فالدعوة للجهاد في الإسلام هي من صميم الدعوة إلى السِلم والمسالمة، وإلا فكيف يرتدع المعتدون؟ وبأي شيء يكف الظالم عن ظلمه إلا بمحاربته وكفه عن ظلمه، أليس في منع المعتدي، وكف الظالم عن ظلمه نوع من أنواع السِلم والسلام للأخرين، فما يقوله هؤلاء ما هو إلا كلام من أساطير الأولين مخالف للواقع تمامًا.

ثالثًا: بالنظر إلى أصل مادة "سلم" والتي هي أصل مادة الإسلام نرى أنها: "من أسلم أمره لله أي سلم، أسلم أي دخل في السلم، قال الخطابي: السَلَم بفتح السين واللام يُراد به الاستسلام والإذعان، الإسلام والاستسلام الانقياد، الإسلام من الشريعة إظهار الخضوع والالتزام بما أتى به النبي -صلى الله عليه وسلم- وبذلك يُحقن الدم، التسليم مشتق من السلام اسم الله تعالى[1]، بهذا نرى أن محل الشبهة زائل وذلك بالنظر إلى أصل المادة نفسه حيث إنه يدل على الخضوع والانقياد والاستسلام لأمر الله عز وجل، فليس في أصل المادة أي دلالة على الشدة والقسوة والعنف وإنما فيها ما يدل على المسالمة والمسامحة والمصالحة.

رابعًا: بالبحث عن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم يمكن لنا القول بأن أصل العلاقة هي السِلم وليس الحرب، فالحروب في الإسلام طارئة، أما الدعوة إلى السِلم في القرآن دعوة مطلقة، حيث يقول تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} البقرة ٢٠٨، وقوله تعالى:{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} الأنفال ٦١، وفي سورة النساء في سياق حديثها عن المنافقين يقول تعالى:{فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا}٩٠، بنظرة المتأمل المدقق لهذه النصوص وغيرها نرى أنها تدعو إلى السلام والسِلم دعوة مطلقة غير مقيدة بزمان أو مكان، فلا مكان بين هذه الدعوة إلا عند الحاجة وفقط، وما علي القائلين بهذه الشبهة سوى مراجعة الدوافع التي من أجلها فُرض الجهاد ليظهر لهم جليًا واضحًا بطلان شبهتهم وفسادها.

---

[1] لسان العرب مادة (سلم)٢٨٩/١٢، التعريفات للجرجاني٣٩/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خامسًا: بمراجعة سريعة للذاكرة الإسلامية نرى أن الهدف الأسمى للحرب في الشريعة الإسلامية هو: "تحقيق السلم للناس أجمعين، دون النظر إلى جنسياتهم أو معتقداتهم، فقد شرعت الحرب حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله تعالى، وحتى يستتب الأمن والأمان والسلم في ربوع الأرض، ذلك أن المسلمين مطالبون بتبليغ الإسلام والدعوة إليه، وبالإسهام في إبقاء السلم حتى لا تتعرض العلاقات الدولية في أي مكان للاضطراب، وللحرب في الإسلام نظام رحيم يخفف من حدتها، ولها حدود يجب أن تقف عندها، فهي حرب مشروعة لإعلاء كلمة الله تعالى، دفاعًا عن حق أو ردًا لعدوان أو إطفاء لفتن تبث الرعب وتقضي على الأمن والسلم، وهي تقوم على أسس من الفضيلة والخير والعدل والرحمة، فهي بذلك نقيض لما نراه من الحروب الاستعمارية الحديثة لدى غير المسلمين، والتي تقوم من أجل مصلحة ذاتية للدولة الباغية المعتدية، ومن أجل نفعها الذاتي القائم على أغراض سياسية، أو جغرافية، أو اقتصادية، أو عسكرية، مبنية على الظلم والبغي والعدوان، فالإسلام يسالم من يسالمه، أما المعتدون فإن الإسلام يدفع المسلمين إلى محاربتهم ورد عدوانهم والقضاء على شوكتهم"[1].

"فالجهاد في الإسلام ما هو في الواقع إلا وسيلة لدعم الأمن وصولًا إلى السلم، عن طريق تمكين الفرد في العالم من ممارسة حريته لينظر في شأن الإسلام عن طريق الاحتكاك والاتصال بالمسلمين باعتبارهم مكلفين بنشر رسالتهم الإصلاحية الكبرى في أنحاء الأرض"[2] فأي تناقض وتعارض بين الدعوة إلى الجهاد في الإسلام مع الدعوة إلى السلم فيما يقولون ويدعون.

سادسًا: بنظرة تأملية متفحصة لكتاب الله تعالى نرى أن لفظ "سَلِمَ" بجميع مشتقاته ورد في ثنايا الآيات القرآنية الكريمة ما يقرب من مائة وأربعين موضعًا، علي أشكال متباينة فمن ذلك قوله: "أَأَسْلَمْتُمْ"، "فَسَلَامٌ"، "فَسَلَّمُوا"، "لِلْإِسْلَامِ"، "لِلْمُسْلِمِينَ"، "لِلسِّلْمِ"، "لِنُسْلِمَ"،

---

(1) مقال بعنوان (دعوة الإسلام إلى السلم) للأستاذ/ محمد شاه جلال، الجامعة الإسلامية العالمية، المجلد الثالث، ديسمبر ٢٠٠٦م بنجلاديش.

(2) آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة د/ وهبة الزحيلي ص٣٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"مُسلَمة"، "مُستَسلِمُون"، "مُسلِمًا"، "مُسلِمَات"، "مُسلِمَيْن"، "مُسلِمُون"، و"مُستَسلِمِين"، "والسَّلام"، "وأَسلَمْتُ"، "وأَسلِمُوا"، "وتَسلِيمًا"، "وتُسلِمُوا"، "وسَلامًا"، "وسَلامٌ"، "ويُسَلِّمُوا"، "يُسلِمُون"، "يُسلِمْ"، وهذه الأشكال المتباينة تدور حول المعاني المختلفة من الانقياد، والتحية المعروفة وهي تحية الإسلام، والسلام اسم من أسماء الله تعالى والسلامة من الشر، والثناء الحسن، وخلوص الشيء من كل شائبة..... الخ.

أبعد كل هذه المعاني يقولون كيف تتفق دعوة الإسلام إلى الجهاد مع دعوته إلى السلم والسلام؟، ونسوا أن أصل مادته (سَلِمَ) هي السِلم والسلام والأمن والأمان والطمأنينة الداخلية والراحة القلبية. هذه أهم الشبهات المثارة حول الجهاد والرد عليها ونقضها بتوفيق من الله تعالى، ونسأله تعالى القبول والإخلاص، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الرحمة المهداة، والسراج المنير الأمين، والهادي إلى صراط الله المستقيم، وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد ،،،،،،،،

فبعد معايشة لفترة من الزمن ليست بالقصيرة مع موضوع بحثنا "الشبهات المثارة حول مفهوم الجهاد عرض ودراسة ونقض" يمكن لنا أن نقف مع بعض ثمار هذه الدراسة، وتمثلها **النتائج** التالية:

أولًا: اشتمال القرآن الكريم على كل ما تحتاج إليه البشرية من أخلاق وعبادات ومعاملات، تسمو بالجانب الروحي داخل الإنسان هو في أمس الحاجة إليها، ولعل من أهمها آداب الجهاد.

ثانيًا: كثرة المعاني الدالة عليها لفظة الجهاد ومشتقاتها، حيث تنوعت الكلمات وتعددت المعاني والعبارات مع أن الأصل واحد غير مكرر (جهد)، وهذا يُعد من إعجاز القرآن الكريم في استعماله للفظ القرآني الواحد بطرق شتى ومعاني متعددة.

ثالثًا: القارئ لفقه الجهاد بعين الإنصاف وعدم التعصب يرى أنه ما شُرع للاعتداء على الأخرين أبدًا، فله أهداف وله غايات شرعه الله تعالى من أجل تحقيقها.

رابعًا: للجهاد الكثير والكثير من الدوافع التي كانت سببًا في فرضيته، منها دعوة غير المسلمين للدخول في الإسلام وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وكذلك رد عدوان المعتدين فالإسلام دين صاحب عزة وكرامة ودائمًا قامته مرفوعة، فليس دين الخوف والاستكانة وكذلك أتباعه أصحاب هامات عالية مرفوعة لا تخضع جباههم إلا لله تعالى، ولا تنكسر رؤوسهم إلا لربهم عز وجل.

خامسًا: من ادعى أن الإسلام انتشر بالقوة والإكراه وجبر الناس على الدخول فيه والسيف كما يقولون شبهتم مردودة عليهم بأقوال وألسنة أهلهم هم، ممن بحثوا في الإسلام بعين العدل والإنصاف وعدم التعصب لمذهب أو عقيدة، وإنما كان بحثه من خلال المنهج العلمي الصحيح الذي اتفق عليه علماء البحث العلمي، ولذا كان ثمرة بحثه نفيه عن الإسلام ما نسبه إليه أبناء جنسه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سادسًا: الشبهة القائلة بأن الهدف من الجهاد الغنائم وسلب أموال البلاد المفتوحة يكفي فيها أن يعرف هؤلاء أن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان منهم الغني ميسور الحال قبل دخوله الإسلام، فلما دخل الإسلام ما زاد مالًا، وإنما زاد إنفاقه وعطاءه لله تعالى، حتى الفقراء من المسلمين كانوا يأخذون الغنائم ويتصدقون بها في سبيل الله تعالى، فهل من المعقول أن يضحى رجل بحياته من أجل المال؟ ولحظة حصوله عليه ينفقه في سبيل الله تعالى، لا يفعل هذا إلا من أثمر في قلبه الإيمان الحقيقي بالله وبرسوله الكريم-صلى الله عليه وسلم-، ويكفي في هذا أن آيات الجهاد والقتال في القرآن الكريم ما وردت إلا مقيدة بكون الجهاد أو القتال في سبيل الله تعالى.

سابعًا: الدين الإسلامي هو دين السلم والسلام والأمن والأمان فلا ظلم فيه لأحد، ولا اعتداء منه على أحد ما دام كل من يعيش في رحابه من أبنائه ومن غير أبنائه يعرف ما له وما عليه، وما يحدث من بعض المنتسبين إليه ممن عندهم خلط في الأفهام إنما هي حالات نادرة وشاذة، ولا يصح أن نعمم منها قاعدة عامة لكل المسلمين.

أما عن التوصيات فتتمثل فيما يلي:

أولًا: يوصي الباحث الدول العربية الإسلامية عمومًا والهيئات الدينية فيها من وزارة الأوقاف، ودور الإفتاء، والشؤون الدينية، والمجالس العلمية المتخصصة في الدراسات الإسلامية بعقد الندوات والمؤتمرات العلمية الثقافية، فهي سنة حسنة، وفرصة طيبة للقاء العلماء والمفكرين والمثقفين، وفيها دلالة على مدى ترابط الأمة العربية الإسلامية وقوة مركزها.

ثانيًا: يوصي الباحث الباحثين عمومًا ووزارت الأوقاف، ودور الإفتاء، والشؤون الدينية، والمجالس العلمية المتخصصة في الدراسات الإسلامية بتبني سلسلة نقض الشبهات المثارة ضد الدين الإسلامي، فهذه السلاسل إحدى الوسائل الدعوية لبيان وتوضيح وأصالة أخلاقنا الإسلامية التي أصبحنا في حاجة ملحة لها كحاجتنا للطعام والشراب.

ثالثًا: يوصي الباحث أبناء الإسلام على العموم، والمتخصصين في الدراسات الإسلامية على وجه الخصوص بالعكوف على تتبع كل ما يثار حول الإسلام من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محاولة من خصومه لإيجاد شُبه فيه تنقص من قدره عند من لم يعرف قدر الإسلام والرد عليها ونقضها نقضًا علميًا، أساس الرد والنقض المنهج العلمي الصحيح السليم بعيدًا عن العصبية والهوى.

رابعًا: دراسة الشبهات المثارة حول الإسلام من منظور جديد منظور نقض الشبهات، وهذا المنظور قلما تجد من يهتم به في النقاشات العلمية والمؤتمرات والحوارات الثقافية، حيث إن الإسلام هو دستور حياتنا، وعلى منهجه تسير أوطاننا، وعلى خطاه نضع أقدامنا.

خامسًا: إنشاء لجنة من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في الدول العربية الإسلامية تعكف على طبع ونشر سلسلة نقض الشبهات المثارة حول الإسلام لتكون زادًا للأمة الإسلامية عمومًا - والدعاة إلى الله خصوصًا- تستضيء بنورها، وتسير في ضيائها، فلا شك أن الماضي فيه أعظم الإفادة للمستقبل، وإلا لما قال الله -تعالى-:{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ}[1].

سادسًا: أوصى الأمة الإسلامية عمومًا وشبابها على وجه الخصوص بالعمل على تعلم اللغات الأجنبية في كل أرجاء العالم، وذلك لكون من يثير هذه الشبهات في الغالب الأعم من غير المسلمين، فإذا لم نتعلم لغتهم فكيف نرد عليهم، وكيف يصل إليهم صحيح الإسلام الوسطي الذي ليس فيه إفراط ولا تفريط، المنهج الوسطي البعيد عن التشدد والمغالاة، المنهج الوسطي الذي يعرضه أبناء الأمة الإسلامية على غيرهم ممن لا يدينون بالإسلام، الأمة التي قال الله تعالى في شأنها:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[2].

هذه بعض النتائج والتوصيات التي منّ الله -تعالى- بها عليّ؛ فإن كنت قد وُفقت فهذا من فضل الله علي وعلى الناس، وإن كانت الأخرى فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله أن يديم علينا نعمة الفهم الصحيح للإسلام، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

أعده الفقير إلى عفو ربه الدكتور/محمد حامد محمد سعيد

---

[1] سورة يوسف ١١١.
[2] سورة البقرة ١٤٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهرس المراجع

- القرآن الكريم.
- آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة د: وهبة الزحيلي، الطبعة الثالثة، طبعة دار الفكر، دمشق.
- أسباب نزول القرآن للواحدي، توزيع: دار الباز للنشر، مكة المكرمة، نشر: مؤسسة الحلبي.
- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء لأبى الربيع الأندلسي، نشر عالم الكتب، بيروت، ١٤١٧هـ، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي.
- البحر المحيط في التفسير لأبى حيان، نشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين أحمد الكاساني الحنفي(ت٥٨٧هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي، الناشر دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.
- تاريخ الأمة العربية دراسات في عهد الخلفاء الراشدين د: عبد الفتاح شحاته،١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- تاريخ الأمم والملوك للطبري، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- التبشير والاستعمار للأستاذ عمر فروج، والأستاذ مصطفى خالدي، الطبعة الخامسة، ١٩٧٣م.
- التعريفات للجرجاني(ت٨١٦هـ)، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الإبياري.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، نشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد رضوان الداية.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا.
- الجامع الصحيح المختصر للبخاري، نشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- حاضر العالم الإسلامي تأليف: لوثروب ستودارد، ترجمه للعربية عجاج نويهض، طبعة دار الفكر، لبنان، تعليق: الأمير شكيب أرسلان.
- حضارة العرب غوستاف لوبون مقدمة الكتاب ترجمة عادل زعيتر، طبعة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية.
- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه لعباس العقاد، منشورات دار الكتب العصرية، لبنان.
- الدعوة إلى الإسلام توماس أرنولد، ترجمه إلى العربية د/حسن إبراهيم وأخرون، طبعة مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م.
- شمس العرب تشرق على الغرب زيغريد هونكه، الطبعة الثامنة، طبعة دار الجيل، بيروت، ترجمه من الألمانية للعربية فاروق بيضون، كمال دسوقي، مراجعة مارون عيسى الخوري، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- فتوح مصر وأخبارها لأبي القاسم بن عبد الحكم، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- الفقه الإسلامي وأدلته د: وهبة بن مصطفى الزحيليّ، نشر: دار الفكر، دمشق، سورية.
- فقه السيرة للبوطي، طبعة دار الفكر، لبنان، الطبعة العاشرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- فقه السيرة محمد الغزالي، نشر: دار القلم، دمشق، الطبعة السابعة ١٩٩٨م، تحقيق: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني.
- القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي.
- لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، نشر دار إحياء العلوم، بيروت.
- لسان العرب لابن منظور، نشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- محمد المثل الأعلى توماس كارليل، المحاضرة الخامسة، ترجمه للعربية محمد السباعي، طبعة مطبعة الآداب، القاهرة،١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، نشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.
- المصباح المنير للفيومي، نشر: المكتبة العلمية، بير ت.
- معجم البلدان لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، نشر دا الفكر، بيروت.
- معجم اللغة العربية المعاصرة د: أحمد مختار عمر، طبعة عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- المعجم الوسيط المؤلف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت٣٩٥هـ)، نشر دار الجيل، بيروت، لبنان،١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
- مفاتيح الغيب للرازي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة.
- مقال بعنوان (دعوة الإسلام إلى السلم) للأستاذ: محمد شاه جلال، الجامعة الإسلامية العالمية، المجلد الثالث، ديسمبر ٢٠٠٦م، بنجلاديش.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفهرس العام

مسلسل	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٨٤
٢	التمهيد	٨٧
٣	مفهوم الجهاد والقتال.	٨٧
٤	الدوافع الحقيقية للجهاد عند المسلمين.	٨٩
٥	المطلب الأول: عرض شبهة انتشار الإسلام بالقوة والعنف ودراستها ونقضها.	٩٣
٦	المطلب الثاني: عرض شبهة الهدف من الجهاد الغنائم والسلب والنهب ودراستها ونقضها.	١٠٠
٧	المطلب الثالث: عرض شبهة كيفية اتفاق الدعوة إلى الجهاد مع الدعوة إلى السلام في الإسلام ودراستها ونقضها.	١٠٤
٨	الخاتمة	١٠٩
٩	فهرس المراجع	١١٢
١٠	الفهرس العام	١١٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner